جامع سنان باشا ببولاق (979 هـ /1571 م)

إعداد

أ.د/ مجدى عبد الجواد علوان عثمان

أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية
وكيل كلية الآداب – جامعة أسيوط

- الموقع والمنشئ وتاريخ الإنشاء :

يقع هذا الجامع بشارع السنانية بحي بولاق أبي العلا بالقاهرة ، ذلك الحي الذي شهد نشاطاً معمارياً ملحوظاً في العصر العثماني ، ويذكرنا بالنشاط نفسه الذي شهده حي الأزبكية .

وأنشأ هذا الجامع الوالي سنان باشا ، والقائد العسكري العثماني الشهير، والسياسي البارع ، ولد سنة (927هـ/ 1520م) ، من أصول ألبانية ، وتدرج في المناصب في البلاط العثماني ، عاصر أربعة سلاطين من آل عثمان وهم : سليمان القانوني بن سليم الأول ، وسليم الثاني ، ومراد الثالث ، ومحمد خان ، تولى حكم مصر مرتين ، كانت مدته الأولى

تسعة أشهر (975 –976هـ/1567– 1568م) في 24 شعبان سنة (975هـ/1567م) إلى 13 جمادى الآخرة سنة (976هـ/1569م) ، ثم قام بتولي رئاسة حملة عسكرية لقمع فتنة الزيديين باليمن وانتصر عليهم وتم فتح اليمن ، ثم عاد إلى مصر في فترته الثانية لمدة سنة بين عامي (979– 980هـ/1571-1572م) ، ثم غادرها إلى استانبول ؛ حيث عين صدراً أعظم ، قام بعدها بفتح تونس سنة (981هـ/1573م) ، توفي سنة (1004هـ/1596م) عن ثمانين عاماً .

وقد بنى هذا الجامع أثناء فترة ولايته الثانية لمصر، وقد خَلَّفَ بالإضافة إلى هذا الجامع عدة عمائر أخرى بمصر والشام ، تنوعت بين تكايا ومساجد وحمامات .

- التخطيط المعمارى:

يتكون مسقط الجامع من بيت للصلاة ، عبارة عن مساحة مربعة تميزت بسمك جدرها ، غطيت بقبة حجرية ضخمة ، قطاعها على هيئة عقد مدبب ينتهي بخط مستقيم ، تتكون رقبتها من الخارج من مستويين سفلي وعلوي : المستوى السفلي مثمن ، وزعت في زواياه دعامات حجرية ساندة ضخمة بارزة ، تحصر كل دعامتين نافذتان معقودتان بعقد مدبب بواقع ستة عشرة نافذة ، يرتد نحو الداخل المستوى العلوي برقبة مضلعة من ستة عشر ضلعاً ، يشتمل علي ست عشرة دعامة مماثلة للدعامات السفلية لكنها أصغر حجماً منها ، وقد نتج عن هذا الارتداد بين المستويين فراغ داخلي بالقبة ، عمل به من الداخل ممر دائري يتقدمه درابزين خشبي (ذكرته الوثيقة باسم ممشاه) ، تحصر هذه الدعامات ست عشرة نافذة معقودة بعقد متعدد الفصوص ، يتوجها إزار حجري بارز تعلوه بدن القبة ، يخرج من مركزه سفود أو زُجُّ به ثلاث تفافيح يعلوها هلال .

أما منطقة الانتقال من الداخل فتتميز بانخفاض منسوبها نوعاً ما ، حيث ترتفع ثلاثة أمتار عن أرضية الجامع ، وهي منطقة انتقال حجرية مركبة بارزة عن الجدران ، تتكون من عقد ثلاثي كبير محدد بإطار على هيئة عقد مدبب مخموس ، يشغل فصه العلوي حلية زخرفية من صفين من مقرنصات بدوال. أما الفصان الجانبيان فغائران على هيئة عقد مدبب مخموس ، يفصلهما كابولي مروحي أملس ، صممما بحيث يتوسط تجويف كل فص تجويف رأسي عميق تتخلله نوافذ مستطيلة بطرف كل ركن من الأركان الأربعة بمربع بيت الصلاة يعلو مناطق الانتقال المستوى الأول من الرقبة ، والذي يظهر هنا مضلع من ستة عشر ضلعاً ، وليس مثمناً كما يظهر من الخارج ، حيث يوجد فراغ بين المستويين الخارجي والداخلي لهذا الجزء من الرقبة ، صمم بحيث تتقدم كل دعامة من الدعامات الخارجية مضاهية من الداخل ، مكونة من ثمانية نوافذ مستديرة صماء تتوسطها أخرى مركزية ، وهي هنا مصممة لغرض زخرفي وليس إنشائي كما في المنطقة من الخارج ، تتناوب هذه المضاهيات مع ثماني فتحات أخرى نافذة ، ويكتنف الفتحات والمضاهيات عمودان مدمجان أملسان ، عبرت عنها وثيقة الجامع بما نصه : " ثمانية منها متداخلة بغير زجاج ، وباقيها مقوصر بزجاج ملون ".

يتوج هذا المستوى إفريز مقرنص مستدير يمثل منطقة انتقال أخرى لتصغير المستوى السفلي من الرقبة، والذي نتج عنه ممر دائري(ممشاه) يتقدمها درابزين خشبي من خرط برامق وسدايب ، نظمت في هذا المستوى ستة عشر نافذة معقودة ومغشاه بزجاج ملون ، أما بدن القبة من الداخل فأملس ، يتوسط ضلع بيت الصلاة الجنوبي الشرقي محراب رخام يكتنفه عمودان ، زين تجويفه بتقسيمات هندسية قوامها الأطباق النجمية وأجزاؤها وفق

النظام الأبلق والمشهر (ضرب خيط صغير) ، تكتنفه دخلتان عميقتان معقودتان بنهاية كل منهما شباك
إلى يمين المحراب منبر من الخشب النقي (المستورد) ، نفذت عليه زخارف هندسية بنظام المعقلي المائل ، تكوينه مشابه للمنابر المملوكية فيما عدا الجوسق الذي صمم على نسق المنابر العثمانية ، حيث تتوج جوسقه جربوشا مخروطية على نسق قمم المآذن العثمانية ، وكانت من النحاس المطلي بالذهب .
يتوسط الضلع الشمالي الغربي لبيت الصلاة فتحة باب مربع يقع في دخلة معقودة بعقد موتور ، تكتنفه دخلتان عميقتان معقودتان بنهاية كل منها شباك ، ويعلو الباب دخلة معقودة بعقد مدبب تتقدمها دكة مبلغ خشب ، تقع على المحور الأفقي العلوي للمحراب ، محمولة على كريديين خاتم تاريخ خورنق .
يحيط ببيت الصلاة ثلاثة أروقة من ثلاث جهات- عدا جهة القبلة – بواقع رواق بكل جانب ، ويوجد بصدر كل من الرواقين الجانبيين محراب صغير محدد بالجفت والميمة ، تكتنفه دخلتان معقودتان بعقد مدبب ، بنهاية كل منها شباك ، وترتفع أرضية الدخلتين عن أرضية الرواق نفسه ، ويغطي هذه الأروقة قباب ضحلة تستند على مثلثات كروية .
للجامع ثلاثة مداخل تتوسط الجهات: الشمالية الغربية ، الجنوبية الغربية ، الشمالية الشرقة ، يقع المدخل الشمالي الغربي على المحور الرئيسي للمحراب .
أما المدخلان الآخران فمحوريان ويقعان على المحور المتعامد على المحراب.
نظمت المداخل الثلاثة في تجويف طولي تكتنفه مكسلتان ، تتوجه حطات من المقرنصات ذات الدلايات .

- المئذنة:

تقع المئذنة في الركن الجنوبي ، ويتوصل إليها من فتحة باب بالرواق الجنوبي الغربي ، وتعد من أروع المآذن العثمانية في مصر ، وتشتمل على شرفة أذان واحدة مقامة على طابق أسطواني ، تتكون من قاعدة مربعة بأساس من الأرض ، تنتهي من أعلى بمناطق انتقال عبارة عن مثلثات ناتئة هرمية بارزة ، ترتفع عن سطح الجامع مسافة 1.50 متر، يليها طابق أسطواني تزينه جفوت رأسية حجرية بارزة ، تتوجه ثلاثة صفوف من المقرنصات الحجرية تحمل شرفة أذان مضلعة ، يعلو الطابق الأسطواني بدن أسطواني قصير فتحت به نوافذ معقودة ، تعلوه قمة مخروطية من خشب البغدادلي المغلف برقائق الرصاص ، يخرج من مركزها سفود به تفافيح تنتهي بهلال ذكرت الوثيقة أنه كان مطلياً بالذهب .

- التحليل المعماري:

يتضح من تحليل المسقط الأفقي للجامع أنه يمثل النمط الثاني للجوامع العثمانية ، حيث يتكون المسقط من مبنى مركزي لبيت الصلاة محاط برواق واحد من ثلاث جهات ما عدا جهة القبلة ، وارتبط تصميم المسقط بالعلاقات الهندسية للمربع 2 : 1 : 1 .
اختير لموقع المئذنة الركن الجنوبي من الواجهة الجنوبية الشرقية ، وقد تعددت المداخل ، ووضعت على محاور كتلة بيت الصلاة ، منها المدخل البحري المتعامد على المحراب ، و ارتبط المدخل الرئيسي أيضاً بمحور الكتلة البنائية ككل ، و تم تأكيد المداخل بخفض منسوب أرضية الرواق المحيط بكتلة بيت الصلاة ، وقد وضعت المطهرة خارج الجامع – منفصلة وبعيدة عنه – حيث روعي في اختيار موقعها الظروف البيئية المؤثرة في الموقع

كاتجاه الرياح الشمالية الغربية ، وبصفة عامة يظهر التماثل والمحورية في المسقط حول المحور الرئيسي المار بالمحراب .

وعند دراسة وتحليل الفراغ الداخلي يظهر نفس التماثل في التشكيل الداخلي للفراغات خاصة فيما يخص تنظيم الفتحات .

وقد تميز الفراغ الداخلي بالهدوء والبساطة ، وقد اعتمد في الإنارة والتهوية على النوافذ المفتوحة في الأضلاع المربعة لبيت الصلاة وكذلك على النوافذ التي فتحت في رقبة وبدن القبة المركزية ، وقد شكلت منطقة الانتقال للقبة المركزية من حنايا ركنية وعقود ثلاثية . و تم تأكيد منطقة الانتقال بتحديدها أفقياً بكورنيش قُسِّمَ بأنصاف أعمدة إلى مساحات مربعة نظمت بها نوافذ دائرية .

وبتحليل التشكيل الخارجي للواجهات نجده لم يرتبط بنظام معين كما في العمارة المملوكية، فجاءت واجهة جدار القبلة والرواقين الجانبين بها دخلات متوجة بحطات من المقرنصات، نظمت بها شبابيك ، ويعلو كل شباك عتب من صنجات مزررة بسيطـة فنفيس ثم عقد عاتق من صنجات ، في حين نجد أن واجهة الأروقة عبارة عن بائكات ذات عقود مدببة ترتكز على أعمدة مستديرة من الرخام ودعامات حجرية ، ويحيط بصنج هذه العقود جفوت حجرية بارزة تنتهي بميمة أعلى قمة العقد ، ويعلو هذه العقود نوافذ مستديرة ، و تم تأكيد المداخل على واجهات الأروقة بتقسيم فتحات عقد الرواق بين الكتفين إلى ثلاثة عقود أكبرها العقد الأوسط ، ويتوج الواجهات كلها صف من الشرافات المورقة على هيئة ورقة نباتية خماسية .

بالإضافة إلى ما سبق نجد أن فتحات بدن القبة جاءت صغيرة عن فتحات منطقة الانتقال ، فجاءت الأولى في شكل الشرافات المورقة ، أما الثانية فقد قسمتها أنصاف الأعمدة إلى مربعات فتحات بها نوافذ ومضاهيات ذات أشكال دائرية .

ويعكس استعمال عناصر الإنشاء في التشكيل الخارجي، حيث ظهرت في القبة بشكل دعامات بارزة عن سمت الحائط تحصر بينها فتحات معقودة في منطقة الانتقال.

أما المئذنة فلم ترتبط بالمدخل ، وإنما وضعت ككتلة شبه متصلة على امتداد جدار القبلة ، ولعل موضعها قد تحدد بتأثير الظواهر البصرية الخاصة بالتخطيط العمراني للمنطقة وإطلالها على نهر النيل ، حيث نجح المعمار بإبراز وضعها من بعيد.

استخدم في بناء الجامع مداميك الحجر الجيري في عمل الحوائط والقباب ، بينما الرخام للتكسيات الأرضية فى المناطق المنخفضة التى تتقدم المداخل الثلاثة للجامع ، والمحراب ، و غطيت الحوائط من الداخل والخارج بطبقة من الجص .

وقد أنشئ باستخدام الحوائط الحاملة ، وهي التقنية المعروفة حينئذ ، وقد كان استخدام هذه المواد مناسباً وملائماً للظروف المناخية السائدة من حيث توفيرها العزل الحراري للفراغ الداخلي عن المناخ الخارجي ، كما استخدم الخشب فى مصاريع الأبواب وضلف الشبابيك والمنبر ودكة المبلغ.

مقتطفات من حجة وقف جامع سنان باشا بتاريخ 20 ربيع الأول سنة 996هـ والمحفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف المصرية تحت رقم 2869:

"... جميع الجامع الذي أنشأه ببولاق القاهرة بالديار المصرية بالقرب من شاطىء النيل ،المشتمل بدلالة المشاهدة إجمالاً على قبة معقودة بالحجر الفص النحيت ذرعها عشرون ذراعاً من كل جهة خلا جدرها فإنها ثمانية أذرع ، بها ثمانية شبابيك نحاساً أحمر ، يغلق

على كل منها زوجا باب خشباً نقياً ، وبصدرها محراب مغلف بالرخام الملون به عمودين رخاماً لكل منهما قاعدتين سفلاً وعلواً ، وبها ستة عشر قمرية ، ثمانية منها متداخلة بغير زجاج ، وباقيها مقوصر بزجاج ملون ، يعلوها ممشاة مقرنص من داخل القبة دايرة بدرابزى "درابزين" خشب ، يعلو ذلك ستة عشر قمرية زجاجاً ملوناً، ويجاور المحراب منبراً خشباً نقياً معقلياً يعلوه قبة خشباً لطيفة يعلوها هلال نحاس أحمر مطلى بالذهب ، به ثلاثة أبواب يغلق على كل منها زوجاً خشباً نقياً يعلو أحدها وهو البحرى دكة خشباً برسم المؤذنين بدرابزى خشب يصار إليها من سلم حجر داخل القبة ، وبظاهر القبة معبرة مقرنصة علو الشبابيك يعلوها قفا تخته بشرافة دايرة من الحجر الفص النحيت بها ثمانية أكتاف ، ومزاريب برسم المطر يعلوها ستة عشر كتفاً يعلو كل منها قبة لطيفة بشرافة لطيفة دايرة ، مغلفة القبة من خارج بالرصاص ، يدور على أسفل القبة المذكورة من خارج زيادة دايرة البنا من الجهة الشرقية والبحرية والغربية ذرع عرضها من كل جهة عشرة أذرع بما فيه الجدر الدايرة سفل ذلك قائم بنا الزيادة المذكورة على خمسة عشر عموداً من الرخام كاملة القواعد والأوتار، وعدد الأوتار عشرون وتراً بها اثنى عشر كتفاً مبنية بالحجر الفص النحيت ، يعلوها ثمان وعشرون قنطرة معقودة بالحجر المنحوت يعلوها قبب مقالى معقودة بالطوب والجبس ، عددها إحدى عشرة قبة مجوفة ، بها محرابان أحدهما بالجهة الغربية مجاور منار الجامع ، والثاني من الجهة الشرقية يجاور كل منها شباكان من النحاس الأحمر ، يعلو كل منها زوجا باب ، مفروش أرض جميع ذلك بالبلاط الكدان مسبل الجدر بالبياض ، وبالزيادة المذكورة ثلاثة أبواب أحدها وهو الغربى يصار منه إلى سلم معقود بالحجر المنحوت يصعد منه إلى السطح العالى على ذلك ثم إلى المنار المشتمل على دور واحد برسم الإعلان بالأذان بدرابزى حجر مخرم ، يعلو رأس المنار جربوشا خشباً مغلف بالرصاص بهلال نحاس مطلى بالذهب ، ويحيط بذلك ويحصره حدود أربعة ، القبلى إلى الطريق السلطانى الفاصل بين هذا البناء وبين الوكالة الصغرى الآتى ذكرها إن شاء الله تعالى وإنشاء الواقف المشار إليه التي بها السبيل والمكتب إنشاء المشار إليه ، والبحرى إلى البحر الأعظم المبنى على شاطيه الرصيف الذي هو من حقوق هذا البناء وبه أحد أبواب الزيادة ، والشرقى للطريق الفاصلة بين هذا البناء وبنا ظهر الوكالة الكبرى وفيه أحد أبواب الزيادة أيضاً ، والغربى إلى الرحاب المتوصل منه إلى البحر الأعظم الفاصل بين هذا البناء وبين بنا المطهرة الآتى ذكرها المتعلقة بالجامع المذكور ، بحد ذلك وحدوده ..."

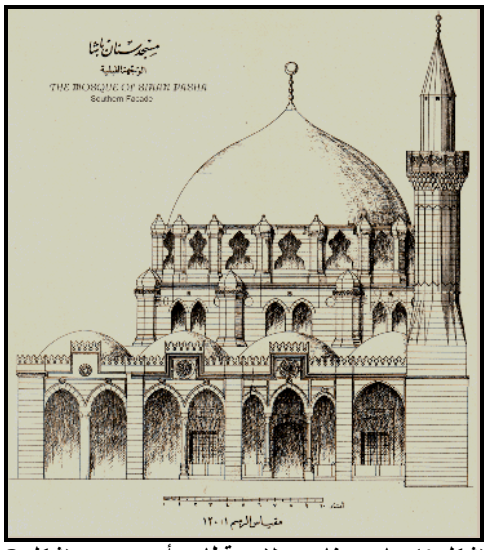

(شكل 1) جامع سنان ببولاق- قطاع رأسي في الواجهة الجنوبية عن مساجد مصر

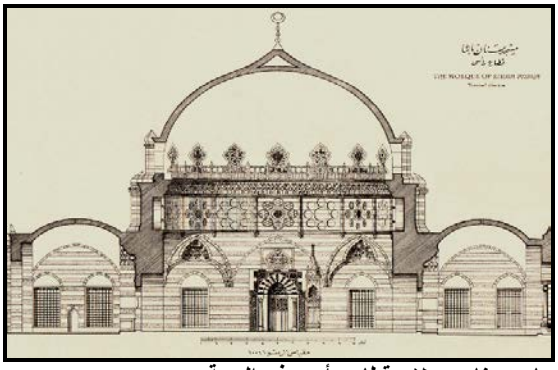

(شكل 2) جامع سنان ببولاق قطاع رأسي في الجهة الجنوبية الشرقية- عن :مساجد مصر

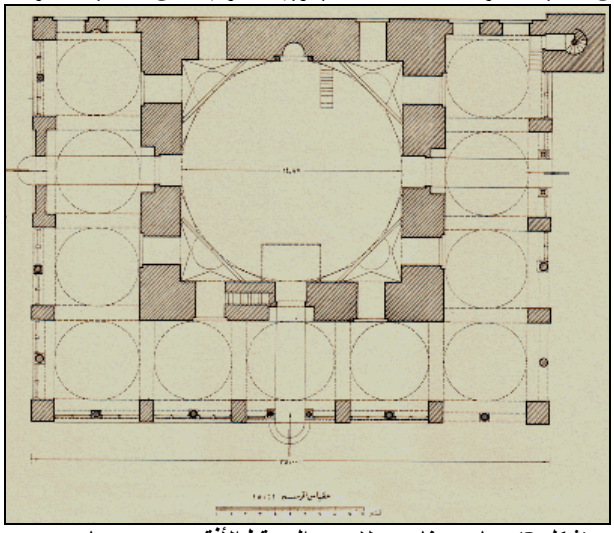

(شكل 3) جامع سنان ببولاق : المسقط الأفقي - عن :مساجد مصر

(لوحة 1) جامع سنان ببولاق –عن : مساجد مصر

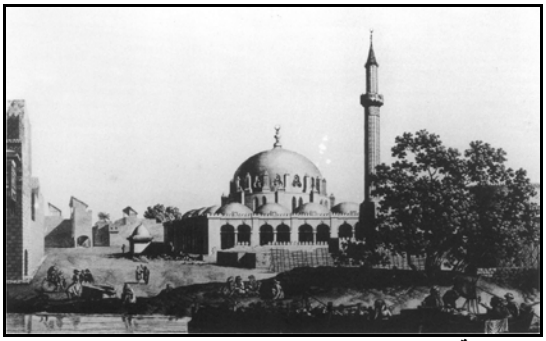

(لوحة 2) جامع سنان ببولاق - عن : وصف مصر

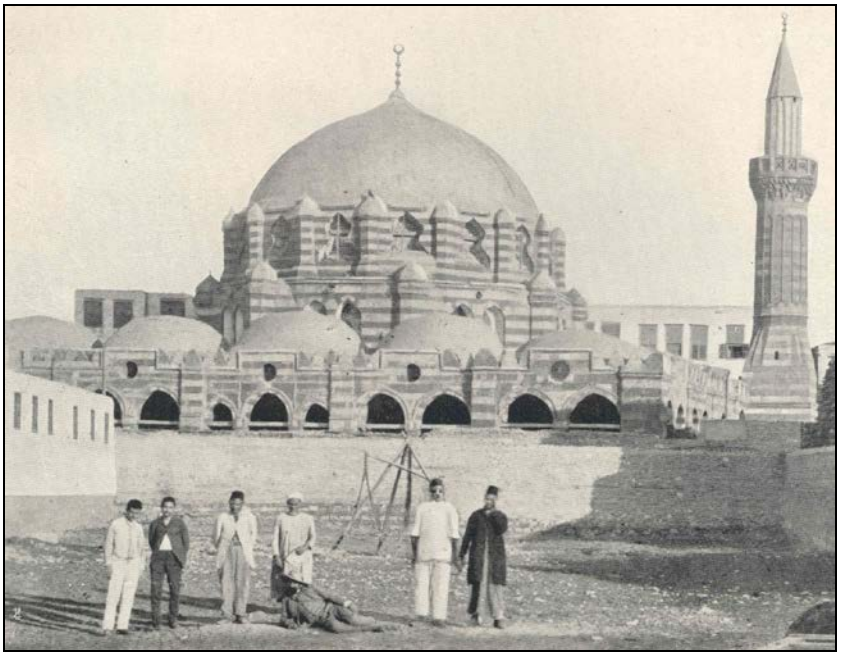

(لوحة 3) جامع سنان– الواجهة البحرية عن :لجنة حفظ الآثار العربية

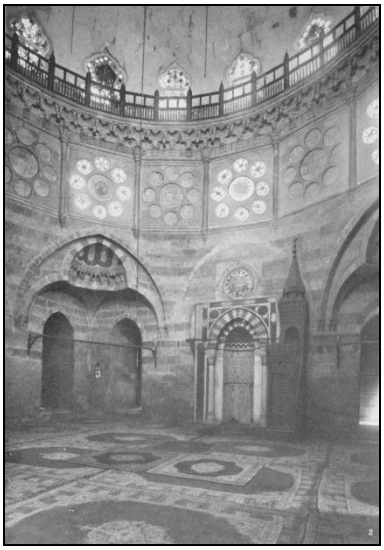

(لوحة 4) جامع سنان– الواجهة الجنوبية الشرقية (لوحة 5) جامع سنان ببولاق : داخل بيت الصلاة عن : لجنة حفظ الآثار العربية